مجلة

كلية التـــراث الجامعة

مجلة علمية محكمة

متعددة التخصصات نصف سنوية

العدد الثالث والثلاثون

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر (الدولي الثالث)

27 آذار 2022

ISSN 2074-5621

رئيس هيئة التحرير

أ. د. جعفر جابر جواد

نائب رئيس هيئة التحرير

أ. م. د. نذير عباس ابراهيم

مدير التحرير

أ. م. د. حيدر محمود سلمان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق 719 لسنة 2011

مجلة كلية التراث الجامعة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم (ب 3059/4) والمؤرخ في (2014/ 4/7)

البارادیغیم المحمدي وتجلیاته في شخصیة ابن تومرت في رؤى محمد أركون

م. د. حیدر علي حول
جامعة جابر بن حیّان الطبیة

م. د. علي دهش حلو
الجامعة المستنصریة

م. د. حوراء عبد الناصر صبیح
جامعة الكوفة

المقدمة:

یعد مشروع المهدي بن تومرت (471/474_524هـــ)[1] من ابرز المشاریع واهمها في تاریخ المغرب الاسلامي لما لما یحمله هذا المشروع من خطة یمكن وصفها بالانقلابیة لیس على السلطة السیاسیة فحسب بل على السلطة الدینیة ایضا، وقد اجتهد ابن تومرت في سبیل تاسیس الدولة الموحدیة(541-668هـ) على وفق ماتبناه من استراتیجیة والتي هي موضوع بحثنا ؛ اذ تقمص ابن تومرت من سیرة النبي والمهدي المتنظر بالقدر الذي یجعله الشخصیة الكاریزمیة التي تجمع حولها القبائل متخذا من النبي ما یسمیه محمد اركون بالبرادیغیم (اي النموذج)[2] ومن ثم العمل على مواجهة اصحاب السلطة وادواتها من الفقهاء المالكیین بطرق ووسائل مماثلة وبافكار مناقضة لافكارهم وهذا ما جعل اركون یتناوله وفق المنظور الانثربولوجي (علم الإنسان)[3] ومایفترضه هذا المنظور من مقارنات وتمثلات تاریخیة ذات صبغة تیولوجیة (العلم الإلهي)[4].

اولا : محمد اركون ...السیرة والخط المنهجي

ینتمي المفكر الجزائري محمد أركون (1928 - 2010) إلى خط فكري نسجت أطره ومعالمه العامة على أثر المرحلة الاستعماریة التي تعرضت لها الشعوب العربیة والإسلامیة وما بعد الاستقلال وهي مرحلة فرضت ظروفها وتفكیرها بحسب ما كان متداول آنذاك، ولذلك حمل المفكر بناءً على ذلك هماً كبیراً ساقه إلى الدعوة للإصلاح على مستوى إعادة قراءة التراث الإسلامي للنجاة من الواقع المأساوي الذي یسمح للدول بالخروج من المآزق والخلافات فیما بین القومیات والاثنیات والدیانات كما حمل هماً ذاتیاً یتعلق بانتمائه إلى الأمازیغیة(مجموعة اثنیة ومن السكان الاصلیین في شمال افریقیا)، التي ساهمت بالحیاة العامة بقوة وتمییز وأركون أحد اللاعبین المیزین الذین ینتمون لتلك الفئة فضلاً عن الطموح الكبیر الذي كان یحمله أركون وعدم الاكتفاء بما كان یتحصّل علیه في الجزائر وهذا ما دفعه إلى السفر إلى فرنسا والعمل هناك والتفاعل وفي الساحة الأكادیمیة الفرنسیة ولذلك فإن البعض یرى أن تكوّن شخصیته وبناءه الفكري حصیلة أزمات متعددة[5].

---

(1) للوقوف على سیرته الشخصیة ینظر: البدق، أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدین، اعتنى بإخراجه: لیفي بروفنسال، بولس لترالكیني، (باریس - 1928م)، ص21. ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان واضع البیان فیما سلف من أخبار الزمان، تحقیق: محمود علي مكي، منشورات كلیة العلوم والآداب الإنسانیة، جامعة محمد الخامس، (الرباط - بلا.ت)، ص34.

(2) للتفصیل على مصطلح البارادیغیم، ینظر: توماس كون، بنیة الثورات العلمیة، ترجمة: حیدر حاج إسماعیل، مراجعة: محمد دبس، المنظمة العربیة للترجمة، بیروت - 2007م.

(3) ینظر للتفاصیل عن انثروبولوجیا: عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفیة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص115.

(4) ینظر للتفاصیل عن تیولوجي ینظر: حنفي، المعجم الشامل، ص551.

(5) للمزید من التفاصیل عن سیرة اركون ینظر: خلیل احمد خلیل،موسوعة اعلام العرب المبدعین في القرن العشرین، الموسسة العربیة للدراسات والنشر، بیروت- 2001، ج1، ص87 ومابعدها؛ لیث العتابي، وهم المشاریع، مركز عین للدراسات والبحوث المعاصرة، العراق، 2017، ص33.

التحق أركون بعد إكماله دراسته الجامعية في الجزائر الى السفر إلى فرنسا والالتحاق بالسوربون[6] بدعم من لويس ماسنيون (1883هـــ/1662م)[7]، ويشار إلى أركون بأنه أستاذ جامعي محترم، حقق مستقبلاً باهراً تميز بسرعة الإنجاز وغزارته، تتنازعه جامعات اجنبية حيث مارس التعليم تباعاً، عالم عززت شهرته دقة وثقافته وكتبه، تخللها أسلوب سلس مبدع، تقودك معاشرته إلى كشف ما يختبئ وراء الأستاذ الجامعي العالم ذو الوجه المشرق ثقافته وقسوة جليلة حتى في الابتسام فتستشف فيه بمعرض جدل أو بحث عادي صاحب عقيدة واثق من صلابة تفكيره وصواب رأيه ووضوح مواقفه فللدفاع عنها ينكب على أقوال خصمه لتقويمها حيث بلغت[8] وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسة عقود خلت على كتابته وأفكاره ورغم غزارة إنتاجه وتنوعه إلاّ أن أفكاره لا تزال تثير ردود فعل متباينة ومتضـــاربة[9] ولا يلتزم أركون بمنهج واحد، فأبحاثه حقل من المناهج المتعددة وعبر عن ذلك تكراراً ومراراً ويذكر بأنه يتبع المنهجية المتعددة وليســت الأحادية الجانب إذ لا يطبق في دراسته للتراث منهجية واحدة بل عدة منهجيات كالمنهجية الالسنية والمنهجية التأريخية والمنهجية الاجتماعية والمنهجية الانتربولوجية وأخيراً التقييم الفلسفي العام[10] ولذلك أعلن موقفه الرافض لأي سجن سواء كان ضمن مدرسة أو مذهب فكري واحد أو تيار واحد أو حزب سياسي أو زاوية محددة أو طريقة أو مذهب أو غيرها[11]

ويذكر أن المشروع الذي قدمه أركون هو مشروعاً نقدياً تفكيكياً كبير من عدة موضوعات ولكي يحقق غايته وهدفه حاول أن يوظف الفلسفة ومناهجها وعلوم الإنسان والمجتمع وجهازهما المفهومي من أجل كتابة وتأليف نسق فلسفي حول مفاهيم في التفكير الديني[12]، وقد عد اركون مؤرخاً للفكر الإســـلامي لأنه تدرّج في المنهج من باحث عن الجوانب الانســـية في التراث العربي والإســـلامي إلى مرحلة التفرغ لبلورة رؤية نقدية للعقل الإســـلامي[13] ولذلك فإن لجوءه إلى المصطلحات والمفاهيم الغربية لمعالجة جوانب محتجبة في الفكر الإسلامي التقليدي أثرى نتاجه بغنى مصطلحي مفهومي يفسر على أنه ناتج عن خيرة شاملة وكبيرة بتراث الفكر الغربي وبتحّر في التراث الإسلامي[14]

ولم يكن المنهج أداة وحيدة لأركون فإن المصطلحات التي شحنت بها كتبه كنت أداته الأخرى فيرى بأنه يتوجب لقراءة فكرة تقديم ترسانة من المفاهيم والمصطلحات لشرح الوضع بدقة[15] وبالتالي فإن تلك الترسانة التي يستعملها تجعله يقضي على تراكمات الماضي حول النص وفهمه وخلق فرصة جديدة في البحث عن الأدوات الحديثة والمعاصرة في فهم النص وتقييمه وهو ما يفتح الباب على مصراعيه امام كل بحث يحاول تقديم دراسة أو قراءة مغايرة[16] فقد أتاح جهازه المفهومي والاصطلاحي القيام بأكثر من عملية تحايل معرفي مع اغراق واضح للقارئ في تلك المعاني غير المكمّلة وصياغة وسوق النصـــوص والألفاظ المراوغة في محاولة تبريرية منه لتصـــحيح الفهم الإســـلامي[17] وهي وجهة نظر متحاملة كثيراً على أركون يسوق أيضاً لهما الباحث مختلف الالفاظ والمصطلحات ذلك أن أركون استعار مصطلحاته كما مناهجه وطروحاته من الغرب والمفكرين الفرنسيين ويستثمرها من تأويله للتراث الإسلامي[18].كما أن البحث يزداد أهمية في اشكالية المرجعية حينما يتعلق بالفكر الأركوني، بالنظر إلى تعدد وتراد المرجعيات الفكرية التي يوظفها ويستفيد منها خاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية في صورتها المعاصرة فقارئ النص الأركوني يلاحظ فيه بجلاء تلك الترسانة المفاهيمية والمنهجية وذلك الحشد الكبير لأحداث المصطلحات والاشكاليات كما يلاحظ أيضاً تلك الحركة التقدمية - التراجعية التي يمارسها أركون في أبحاثه ودراساته حين يربط بين مشكلات الراهن ومشكلات الماضي أو بين الفكر الغربي المعاصر والفكر الإسلامي[19].

---

(6) السوربون: جامعة فرنسية رفيعة المستوى تأسست قبل 760 سنة أي عام 1253م، ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف،مصر-1980،ج1، ص140.

(7) ماسنيون: مستشرق فرنسي عرف عنه دراساته للتصوف الإسلامي عامة والحلاج خاصة وعنى كذلك بالآثار الإسلامية وغيرها. للمزيد: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار المعارف، القاهرة 1993.

(8) لوك باربوليكو، وفيليب كاردينال، رأيهم في الإسلام، تعريب: أبو منصور العبد الله، ط2، دار الساقي، بيروت 1990، ص145.

(9) فارح مســـرحي، المرجعية الفكرية لمشـــروع اركون الحداثي اصـــولها وحدودها دراســـة تحليلة نقدية مقارنة،اطروحة دكتوراه، قســـم العلوم الانسانية،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية،الجزائر-1990، ص2.

(10) أركون، نحو تأريخ مقارن للاديان التوحيدية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت-2011، ص392. للاطلاع على المنهجيات ينظر: نايلة أبي نادر، التراث والمنهج بين أركون والجابري، الشبكة العربية للبحث والنشر، بيروت - 2008.

(11) المصدر نفسه، ص392.

(12) سامي شهيد مشكور، جاسم علك شهاب، القداسة والتقديس عند محمد أركون، مجلة أهل البيت، العدد 19، ص104 - 105.

(13) حنجر حمية، اختبارات المقدس، دار الأمير، بيروت - 2005، ص39 - 40.

(14) المصدر نفسه والصفحة.

(15) محمد مصطفوي، إمكانيات التقسيم وإشكالياته في البحث عن المعنى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - 2012، ص258.

(16) المصدر نفسه والصفحة.

(17) خالد عبد الستار شيت ورائد أمير عبد الله، الاستغراب عند محمد أركون، تقديم: عماد الدين خليل، مكتبة الميثاق، الموصل، 2012،، ص53.

(18) محمد المزوغي، العقل بين التأريخ والوحي حول العدمية النظرية في اسلاميات محمد أركون، منشورات الجمل، بيروت - 2000، ص68.

(19) مسرحي، المرجعية الفكرية، ص80.

ثانياً:السيرة النبوية واثرها في شخصية ابن تومرت

إن ســـيرة النبي محمد (صـــلّى الله عليه وآله) وحياته تمارس دورها كنموذج أعلى لكل المؤمنين وهنا نلحظ العلاقة الوثيقة الحميمة بين المتخيل والتأريخ كتصـور ورؤيا، إذ يستمد من النموذج الأكبر المعايير المثالية للسلوك إذ أن المتخيل السياسي يجد في النموذج الأعلى للنبي البواعث والمبررات والسوابق القابلة للتجسد والتحقيق في كل مجتمع بشري[20].

كان ابن تومرت متأثراً بسيرة النبي محمد كما كان ابن إسحاق(ت 151هـ) ومن ثم ابن هشام (ت 218 هـ) على أثره قد صاغاها أدبياً وتولياها وحوراها وفخماها وزيناها بأحسن القصص وأجمل الاساطير بل في الواقع أن ابن تومرت كان يتماهى مع شخصية النبي (صلّى الله عليه وآله) أو قل كان يجد نفسه في سيرته، فالنبي أيضاً كان عضواً في أسرة محددة هي بنو هاشم وقبيلة محددة هي قريش مثلما ابن تومرت كان عضواً في عائلة وقبيلة[21].

يرى أركون أن ابن تومرت كان يفكر على النحو التالي لقد اختار الله محمد من بين كل البشـــر وهداه وازره من أجل أن يلم ذويه مع القبائل الأخرى ويسـير بهم عن طريق الهدى والنجاة وعلى هذا النحو ظهر الإسـلام وانتشـر وترعرع... فلماذا؟ لا يسير هو نفسه على ذات الطريق؟ ولماذا لا يجمع هو أيضاً جماعته ويسير بهم على طريق الهدى والرشاد على طريق المجد؟[22]

ويبحث أركون عن نقاط التشابه بين النبي (صلّى الله عليه وآله) وابن تومرت من ناحيتين، الاجتماعية - الثقافية، فابن تومرت من عشيرة هرغة في جبال الاطلس، وبين عشيرة النبي بني هاشم في مكة، وفي كلتا الحالتين كان الشيء المهم من البداية هو وجود جاذبية شخصية للقائد وتدخل الإرادة الإلهية في الموضوع، وهيمنة الرؤيا الأخروية المتلائمة مع النزعة التقديمية المحيطة بالبيئة السـائدة[23] وهذا كان أكثر أهمية من وجود عقل أرثوذكسـي (الذي يمثل العقيدة الصـحيحة او المستقيمة بحسب معتقدهم) مرتكز على تأريخ متسلسل زمنياً وعلى قانون فقهي تشريعي ونظام لاهوتي وهذه الأشياء آتت أهميتها عند ابن تومرت - بحسب أركون - فيما بعد[24].

يرى أركون في محاولات ابن تومرت في معرفته للعادات المجتمعية ومع الممارسـات الدينية وطلب العلم لأنه كان متأثر أكثر من عشيرة بالبنية الدينية الإسلامية التي تتبع له التمثل والهضم والدمج، فقد كان ابن تومرت مشبعاً بحس التعالي الإلهي التوحيدي المضاد للنزعة الاحيائية المنتشرة في محيطه[25] ولذلك فإن هناك التداخل ما بين الشخصية المستمدة من التعلق بالقرآن والنبي (صلّى الله عليه وآله) لابن تومرت، وبين المعرفة التأملية الاستدلالية التي زادت هيبة العلم الإسلامي من أهميتها وبين الحس العملي للشعوب التي ينبغي تجييشها من أجل إصلاحها وتوسيع سلطتها وقوتها وكل ذلك يحرك المخيال الجماعي(اي ماينتج من صور وافكار) الهادف إلى الخلاص الأخروي تصدر ما يحرك الإحساس الجديد المنعش بعلاقة شخصية مع الله عزّ وجل[26] ولذلك فإن الخلط وعدم التمييز بين المخيال (الخلاص الأخروي) وبين العقل الحريص على البرهنة والتسويغ، فإن التواصل يصبح ممكناً بين العلماء ذوي الدرجات العالية (أي ورثة الأنبياء) وبين الشخصيات الكاريزمية فإن الجاذبية الباهرة وبين الطبقات الشـعبية المسـتهدفة من قبل الدعوة والتبشـير[27] وهذا ما جعل تجربة ابن تومرت تنجح في عملها ممارسـة السـلطة والتوغل بين المجتمع خاصـة وأن الشـخصـيات الكاريزمية تجمع بين الجاذبية والسحرية، ولذلك فقد اكتشف مثل هذا الجمع بما يسميه أركون بالعقل الأرثوذكسي (لابن تيمية ت728 هـ) في شخصية ابن تومرت ولدى الطبقات الشعبية وأدانه في فتوى مشهورة ضده[28].

لم يكن الباردايغيم المحمدي أو التجربة المدينية النموذج الوحيد الذي استفاد منه ابن تومرت فتركيز الوحي والقصص القرآنية والتي تجسد فيها المنهجية التربوي على وجود الله في وجود الإنسـان سـاهمت في تطور التأريخ الأرضـي الزمني المتسلل والوقائعي للبشر داخل هذا الاطار، ولما تبعثرت الدولة الإسلامية إلى سلطات محلية - إقليمية عديدة بل وهشة[29] يرى أركون أن هذه المنهجية مع تبعثر الدولة الإسلامية ساهمت في زيادة انتشار تأريخ النجاة الأخروي بشكل اسطوري مثل ظهور الحركات المهدوية العديدة في المجتمعات الإسـلامية بدءاً بابن تومرت وصـولاً إلى العصـر الحديث[30] ولذلك

---

[20] محمد أركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة: هاشم صالح، دار النهضة العربية، بيروت - 2007، ص55.
[21] أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت -....، ص153.
[22] المصدر نفسه والصفحة.
[23] أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص153.
[24] المصدر نفسه والصفحة.
[25] المصدر نفسه، ص152.
[26] أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص153 - 154.
[27] المصدر نفسه، ص154.
[28] المصدر نفسه والصفحة.
[29] أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر،ترجمة:هاشم صالح، دار الساقي، ط2،بيروت-1995،ص83 / 85.
[30] أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ص86.

فإن ابن تومرت هو النموذج المثالي الذي يجد هذه الحالة على أفضـل وجه[31] فقد غذى ((المهدي مولى السـاعة)) في كل مكان من المجتمعات المختلفة سلوكاً دينياً وسياسياً في آن معاً، وهو سلوك يجيش الجماهير الغفيرة[32] وهذه المسألة التي أيضـاً استخدمها ابن تومرت في مشـروعه للوصـول إلى السلطة إذ أن هذه التجربة التومرتية تكررت على نطاق كبير أو صغير من قبل جميع الأشخاص الذين اتخذو لقلب المهدي[33] ويرى أركون نجاح ذلك إلى أن تجربة المدنية للنبي محمد أو المهدوية تحولت إلى الوعي الإسلامي إلى نموذج علوي مقدس، إلى لحظة تدشينية لعمل تأريخي فريد من نوعه ولا علاقة له بأي شـيء آخر، لكن التجربة هذه بالنسـبة لابن تومرت وضـمن المنظور الانتربولوجي هو عبارة عن تقليد محاكاتي للنموذج النبوي المحفوظ في ذاكرة الشعوب[34] ويرجع أركون ذلك إلى الصـراع الدائر بين الشعوب ومحاولات اكتشاف معنى الكتابات المقدسـة وهذا بدوره يخلع بردائه اللاهوتي على الآليات الفعلية للتوصـل إلى السـلطة وممارسـة الهيمنة إذ يخلع حجاباً معمماً ويغلفها بغلاف التقديس لكي تتخذ صفة المشروعية الإلهية المطلقة وهذا ما يمثل التجربة التومرتية[35].

ثالثا: ابن تومرت وخطواته في الوصول الى السلطة

يعرف أركون ابن تومرت بأنه بربرياً امازيغياً ولد في جبال الاطلس الواقعة في المغرب الأقصى وكان أولاً وقبل كل شيء عضو في عشيرة هرغة التي تنتمي إلى قبيلة المصمودة[36].

تمثل ابن تومرت على نفسـه وكانت أولى خطواته هو هضـم وتمثل العادات والتقاليد السـائدة في مجتمعه التي تتيح له إعادة إنتاج أو تكرار النزعة الأخلاقية المتمثلة بالحفاظ على العرض والشـرف والهيمنة والقوة وبقية القيم التي تؤمن بها الجماعات الأمازيغية[37].

أما الخطوة التالية فقد سـافر ابن تومرت إلى المشـرق الإسـلامي(*) لكي يأخذ العلم ويطلع على مكونات العقل الأرثوذكسي في أرضه الخاصة بالذات، ويكتسب المشروعية الدينية وهذه المشروعية تجلت في الروايات التي ذكرتها كتب التأريخ عن لقاءه الحقيقي أو المتخيّل بالغزالي والذي دونته المصادر والكتب بأسلوب أدبي جذاب ومثير واخرجتها اخراجاً اسـطورياً وخلعت عليه أهمية كبرى[38] لأن ابن تومرت بحسـب أركون قد أدرك العوامل الضـرورية لتأسـيس أو توليد المجتمع في الإسلام، فما كان بامكانه أن يصـل لمرتبة العالم أو المأذون المعنى لكلام الله تعالى وتعاليم نسبية وهو ابن بيئة أو قبيلة ضـعيفة في إسـلامها، ولذلك كان بنقصـه التكريس الروحي والعلمي وهذا ما تحقق له برحلته إلى المشـرق ولقاءه بالغزالي[39] ولذلك أصـبح بعد عودته من المشـرق قادراً على تأمين نوع من التواصـل ما بين (الجاذبية والسـحرية)، فقد أصـبح قادراً على مخاطبة الناس الذين يجهلون الشـريعة الإسـلامية باللغة البربرية، كما أمكنه التحدث باسم التعاليم الدينية التي تحصّلها من الفقهاء الذي يحق لهم وحدهم تفسير النصوص المقدسة، وبناءً على ذلك بحسب أركون جمع ابن تومرت المجد من كلا طرفيه كما يقال وهذا هو سـبب نجاحه في الواقع أيضـاً[40] ولذلك أن مثال ابن تومرت أو بالأحرى التجربة التأريخية لابن تومرت ذا مغزى حقيقي ودلالة كبرى، لأنها تجمع في طياتها كل عناصـر واسـتراتيجيات الممارسـات التأريخية التي تميز المجتمعات التي اعتنقت الإسلام وتشكل خصوصيتها[41].

جيّش الداعية ابن تومرت القبائل حوله وهذا ما أثار غضـب المرابطين (440-539 هـــ) الذين يتحكمون بالسـلطة المركزية، وغضـب الفقهاء المالكية الاشـداء الذين يسيطرون على الارثوذكسـية الدينية والذين يلوحون بالمشـروعية للعقل الأرثوذكسـي المؤسـس والموسَّـس، أو بدءوا يهددون ابن تومرت ويهاجمونه بظلال البدع والزندقة التي جاء بها لصـنع المعجزات[42].

---

(31) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص152.
(32) أركون، القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني،ترجمة:هاشم صالح،دار الطليعة،ط 2، بيروت - 2005، ص87.
(33) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص152.
(34) المصدر نفسه، ص156.
(35) المصدر نفسه، ص155.
(36) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص152.
(37) المصدر نفسه والصفحة.
(*) للوقوف على خط سير رحلته ينظر: المراكشي، عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة - 1949م)، ص178 - 179 ؛ مجهول، مؤلف، الحلل الموشية في ذعر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرثاء الحديثة، (الدار البيضاء، بلا.ت)، ص104.
(38) المصدر نفسه، ص153.
(39) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص153. أثيرت العديد من الإشكالات حول هذا اللقاء بين المؤرخين ينظر: الفنابي، مراجع عقلية، قيام دولة الموحدين، جامعة قاربونس، (بنغازي - 2008م)، ص209 وما بعدها.
(40) المصدر نفسه، ص154.
(41) المصدر نفسه، ص152.
(42) المصدر نفسه، ص154.

اتبع ابن تومرت لمواجهة المرابطين والفقهاء والمالكية فيما يسـميه أركون (بالمزايدة المحاكاتية) عليهم إذ راح يزاود عليهم دينياً وإسـلامياً لكي يرفع من قيمة الذات ويخفض من قدر الخصـوم الذين تألوا عليه لكن يسـتطيع الوصـول إلى (المشروعية الإسلامية العليا) والتي تمكنه من ممارسة السلطة الناتجة عنها بالضرورة[43].

وعمل على المزايدة على ارثوذكسـية الفقهاء واعلن عقيدة متشـدّدة فيما يخص التعالي الرباني والتوحيد الإلهي المهم جداً في الإسـلام والذي يتعلق به كل المسـلمين بقوة ومن هنا جاء اسم الموحدين الذي خلع على السـلالة التي أسـسـها تلميذه عبد المؤمن (487 - 558م) باسـمه بالأحرى[44]، كما عمل ابن تومرت أيضـاً لضـرب المرابطين والمالكية على التركيز على شعائرية السلطة وطابعها الطقوسي، وعلى التطبق الصارم للمحضورات الغذائية وسواها وسواها في الإسلام، وعلى فرضـة الشـهادة الإيمانية الإسـلامية بصـفتها اسـتبطاناً للهوية وتأكيداً لها على ضـرورة تشـكيل مجموعة من الأصـحاب الموثوقين تماماً كما فعل النبي مع الصـحابة[45] ولذلك فإن الموحدين يعتبرون ابن تومرت زعيمهم الروحي الذي بفضـله استطاعو قلب المرابطين والحلول محلهم والذي زاود على السلوك العملي للمسلمين الخاضعين للشريعة عن طريق التركيز أكثر على تقليد السيرة النبوية بالذات وبشكل مباشر وشبه حرفي[46] وقد واصل خليفته فيما بعد وفاته عبد المؤمن بن علي الكومي على العمل والمسيرة وتأسيس دولة الموحدين الرسمية بكل طبقة علمائها وفقهائها وعقلها الأرثوذكسي المبلور في لغة عالمية فصيحة مقدسة رسمياً هي اللغة العربية، وبالتالي أصبحت دولته مزودة بجهات سياسي وثقافي قادر على نشر الأرثوذكسـي وتهميش الحس العملي والفكر البري المحلي الامازيغي الذي كان قد شـكل في بداية الحركة دعامة المشـروع التأريخي ورهانه في ان معاً والذي لا يتوقف هذا المشروع عند الموحدين بل تكرر في مشاريع أخرى[47].

الخـــاتمة

يعد مشـروع أركون واحداً من أبرز البحوث التي لاقت جدلاً واسـعاً على الصـعيد العربي والإسـلامي وألف في ذلك الكثير وحمّل الكثير أيضاً ولم ينظر إلى الجانب الأخلاقي الذي كان أركون يروم إليه بل حمّل بأشد العبارات طعناً في الفكر والمنهج والمشروع إلاّ أنه وبالرغم من ذلك علينا التسلم بأن ما قدمه أركون يمكن أن يعد في وقت لاحق كمستقبلين لاحقين من أبرز مشاريعهم الإصلاحية لقراءة التراث الإسلامي ولذلك فإن العمل وبشكل جدي بعيداً عن المؤثرات الدينية والمذهبية وشتى الانتماءات على قراءته قراءة حقيقية واعية لكل موطن وطئه أركون وتحليله تحليلاً جدياً.

ووفقا لتعدد المنهجيات التي اسـتخدمها اركون فان قراءته لابن تومرت اختلفت كثيرا عما كتب من قبله وبعده وذلك لانه كما اشـرنا سـابقا انه ابتعد عن القراءة التقليدية معتمدا بذلك عما افرزته القراءات الانثروبولوجية من فرصـة لاعادة قراءاة ابن تومرت وفق معاييرها وبناءا على ذلك فان اركون اعتبر المشـروع التاريخي لابن تومرت عملية محاكاتية لامريين مميزين في التاريخ الاسـلامي والتي تعد نموذج اعلى الا وهي تجربة المدينة التي حكمها النبي محمد طيلة حياته والتي افرزت عن دولة مترامية الاطراف ،اما الامر الثاني والذي له اهمية كبيرة في تجييش الجماهير حول القيادات الملهمة الا وهي المهدوية والتي ادعاها ابن تومرت ولقب نفسه بالمهدي وتعد هذة جزء من الاستراتيجيات المتبعة من قبل البعض لاقتناص السلطة وفي الوقت نفسه لاكتساب مشروعيتها

---

(43) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص154.
(44) المصدر نفسه والصفحة.
(45) المصدر نفسه، ص155.
(46) المصدر نفسه، ص154 - 155.
(47) أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، ص155.